مقدمـــة:

التفكير فريضة إسلامية[1]، ومن ثمَّ فإن قول الله عز وجل: "(وَلْـتَكُن مِّـنكُمْ أُمَّـةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)"[2] يلزمنا بالتدبر وطرح العديد من التساؤلات على نطاق البحـث.أول التـساؤلات –في رأيي– كيف؟ وبعد كيف، من الأمة ؟ ومن الجمهور المخُاطَب؟ ثم متى؟ وأين؟ ومـاذا؟ إلى غير ذلك من التساؤلات المتتالية والمتعاقبة مثل الدوائر المتتابعة التي يُحْـدثها إلقـاء حجر في بركة ماء هادئة. عند هذه النقطة يمسك الباحث بالخيط الأول في بحثه، ويحاول أن يضع الإطار النظري والمنهجي للبحث على النحو التالي:

الدراســـــات السابقة.

مشكلة الدراســـــة.

أهمية الدراســـــة.

أهداف الدراســـــة .

تساؤلات الدراســـة.

نوع الدراسة ومناهجها وأدواتها.

الدراســـــــات السابقة:

كل فكرة تناولت بالبحث والتدبر أساليب الدعوة الإسلامية منذ وقفة المصطفىﷺ على جبل الصفا ليبدأ الطور العلني للدعوة إلى الله، إلى المواقع الإسلامية علـى شـبكة الإنترنت في مطلع القرن الحادي والعشرين الميلادي تعُد من الدراسات السابقة في بحثي هذا. وقد يبدو الأمر من الوهلة الأولى أن الدراسات السابقة بحر لجي يغشاه موج مـن فوقه موج أعتى من قدرة باحث بحار، ولكن الأمر يبدو في عمق الهدف كـصائد لؤلـؤ أمسك في خضم البحر اللجي على أكبر "دانة"[3] وثبت له باليقين أنها جوهر الدراسات السابقة.

---

(١) عنوان كتاب لعباس محمود العقاد.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٠٤.

(٣) الدانة : هي اللؤلؤة الكبيرة.

إن جوهر الدراسات السابقة هي الدعوة إلى التوحيد المحض الخالص، الدعوة إلى وحدانية الله ـ سبحانه وتعالى ـ بغير شريك، وتنزيه الله ـ جل جلاله ـ عن الشرك في أية صورة، من وثن يقرب الناس لله، إلى تصور بالوالد والولد، يقرب للأفهام البشرية الربوبية من خلال التثليث، إلى غير ذلك من استعلاء على مقام الله وجلاله.

ومن نواة الوحدانية الخالصة المحضة في خلية الإسلام الأولى، وهي الشهادة، يتكون الهيكل الإسلامي كله، ليشمل تنظيم الفرد المسلم والأمة المسلمة، ويبين علاقتها بكل خلق الله في الكون.

ومن هذه النقطة التي يتلاقى فيها اتساع الدراسات السابقة اتساعاً يفوق البحار، مع عمق الجوهر، وهو التوحيد، يبرز سؤالان لا مناص، ولا سبيل بغير الإجابة عنهما:

السؤال الأول : ما دام الأمر كذلك في اتساع الدراسات السابقة فما جدوى بحثك وما مبرره العلمي والعقدي؟ والسؤال الثاني : ما دام الأمر شديد الوضوح في التوحيد المحض الخالص، فماذا تضيف؟ قد يبرر التعلم التكرار، ولكن البحث العلمي جديد يضيف وإلا فما له من مبرر وجود.

الواقع الثقافي المعاصر في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين الميلادي يؤكد لنا أن طوراً جديداً من أطوار الدعوة الإسلامية يبحث عن وسائله وأدواته ومنهجه.

وهكذا أسلمتنا فكرة النظر في الدراسات السابقة إلى تحديد مشكلة الدراسة.

إن مشكلة هذه الدراسة بإيجاز شديد هي كيف ندعو إلى الخير، وكيف نأمر بالمعروف وننهي عن المنكر في ضوء الواقع المعاصر؟ وما هو منهج الدعوة في هذا الطور الجديد؟

أما أهمية الدراسة فتنبع من أمرين مختلفين: الأول : هو التكليف وهو ضرورة أن ندعو، والأمر الثاني أننا في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين الميلادي نتعرض لحرب ثقافية هائلة في ظل ظروف لنا بالغة الصعوبة والضيق وهيمنة من عدونا لم تتح له منذ أكثر من قرن من الزمان. ليس أمامنا إلا أن نصارع بالعقل والمنطق والخطاب المنير، وأن نحاول وأن نصبر وأن نتقدم. هل يبقى لنا أن نتحدث عن أهداف الدراسة.. إن ما تهدف إليه هذه الدراسة بإيجاز شديد ووضوح أشد هو أن تتحرى كيفية الدعوة في عالمنا المعاصر، كما يستطلع الناس هلال رمضان في يوم غائم.

يقول "لستر ثارو" Lester Thurow أستاذ الاقتصاد الأمريكي في كتابه Head to Head الذي نشرت سلسلة عالم المعرفة الكويتية ترجمة عربية له بعنوان: الصراع على القمة عام ١٩٩٥م[٤]، يقول لستر: "عند درجات الحرارة القريبة من الصفر المطلق، وعند درجات حرارة أعلى كثيراً في بعض المواد الخزفية، يحدث فرط الموصلية، وتتغير فجأة القواعد التي تحكم سريان الكهرباء، والثوابت القديمة لا تعود ثوابت، وتطبق فجأة قواعد جديدة، فتختفي المقاومة، والنبائط الكهربائية التي لم يكن بناؤها ممكناً من قبل يمكن الآن بناؤها، والتيارات التي تحررت يصعب التحكم فيها. وشيء شبيه بذلك يحدث في الاقتصاد العالمي، فثمة لاعبون جدد، وتكنولوجيا جديدة، وقواعد جديدة ".

إن ما ذكره لستر عام ١٩٩٣م في كتابه المشار إليه في شأن الاقتصاد يصدق أكثر وأكثر في شأن الثقافة.

والدعوة في جوهرها نشاط ثقافي بالمفهوم الواسع والحديث لمعنى الثقافة. ومن ثم تصبح تساؤلات هذه الدراسة من خلال غيوم هذا العصر تصدر من سؤال واحد: كيف؟ وهذا السؤال الذي فرض نفسه على عنوان البحث، وفرض نفسه على السطور الأولى من هذه المقدمة.

والبحث العلمي — في رأيي — إبحار في المجهول للوصول إلى جزيرة تصبح معلوماً، ومنها يبدأ باحث جديد وبحث جديد.

وإذا تأملنا محتوى هذه الدراسة، فإننا نستطيع القول بأنها تنتمي إلى الدراسات الوصفية والمقارنة، وأنها تستخدم المنهج التاريخي ودراسة الحالة وأنها تعمد إلى التحليل الكيفي لاستحالة استخدام التحليل الكمي أو استمارات الاستبيان في مثل هذه الدراسة، وأنها تلامس الواقع المعاصر بيد وتمد اليد الأخرى للمستقبل.

ولعل هذه الدراسة النظرية تتحول إلى دراسات تطبيقية، ولعل جوانب منها تلقي القبول والتنفيذ.

ولقد قسمت هذه الدراسة إلى خمسة فصول وخاتمة.

---

(٤) لستر ثارو: الصراع على القمة (ترجمة أحمد فؤاد بلبع)، سلسلة عالم المعرفة الكويتية، ديسمبر ١٩٩٥م

في الفصل الأول وعنوانه: تحديد المصطلحات، حاولت في المحور الأول منه أن أحدد مفهوم الخير، وقد التمست مفهوم الخير من القرآن الكريم فرجعت إلى باقة من كتب التفسير تمثل المدارس المتعددة للتفسير. وحاولت أن أبين القواسم المشتركة لمعنى الخير في اجتهادات البشرية لنزوع الإنسان نحو الإنصاف مع نفسه، ومع غيره من خلق الله.

وكان المحور الثاني من هذا الفصل الأول لتحديد مصطلح الدعوة. وقد رأيت أن ذلك التحديد يستوجب أن يسبقه تعريف بالعقيدة وأن يلحق به تعريف الحضارة والثقافة حتى يبرز مصطلح الدعوة أكثر وضوحاً.

وفي الفصل الثاني تحدثت عن وسائل الإعلام في عصر النبوة.

وكان الفصل الثالث عن عالمنا المعاصر. وحاولت فيه تسليط الضوء على الكتب الجديدة التي تمثل ـــ في رأيي ـــ الأناجيل الغربية الجديدة للهيمنة على العالم الإسلامي. وشرح الأفكار المغلوطة فيها ونقدها.

وخصصت الفصل الرابع للمواجهة والاتصال الثقافي وبينت أنهما وجهان متلازمان.

وفي الفصل الخامس والأخير الذي اتخذت له عنواناً "خطة اتصالية واقعية" تحدثت في المحور الأول عن الإبداع المطلوب وهو السهل الممتنع. وفي المحور الثاني بينت ضرورة تجميع الجزر المتفرقة في الدعوة الإسلامية. وطالبت في المحور الثالث بأن تعتمد خطتنا في الدعوة والإعلام الإسلامي على كثير من التفعيل وقليل من الإنشاء.

وفي خاتمة الدراسة وضعت تصوراً لإنشاء مركز عالمي للإعلام الإسلامي يمكن أن يمثل قاطرة تجر العربات الكثيرة المتواجدة على الساحة الإسلامية لتشكل قطاراً واعداً ينقل أساليب الدعوة من حال إلى حال أقوى وأفضل. وكانت مصادر البحث ومراجعه إبحاراً ممتعاً من كتب التراث الإسلامي إلى المغامرات الأمريكية المعاصرة في محاولات التنظير للعداء الإسلامي، والهيمنة الأمريكية على الأمة العربية والإسلامية. ولقد حاولت الالتزام بالأمانة العلمية الدقيقة فلم أحذف من النصوص المقتبسة وإن طالت. كذلك جعلت للكتابات الصحفية نصيباً موفوراً في مصادر البحث بحكم طبيعة العصر. وأكرر القول بأنني آمل أن تتحول جوانب من هذه الدراسة النظرية إلى دراسات تطبيقية. وأن يقبلها الله وأن ينتفع بها أهل العلم والعمل وأهل العزم.

والله ولي التوفيق ،،،

(المؤلف)